ألا أخبركم بأهل النار ؟

الصحابة الكرام سمعوا من سيدنا رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تحضُّ على التواضع ، فترجموا ذاك القول إلى عمل ، واصطبغت حياتهم كلها بالتواضع ، حتى إنك لو نظرت في أحوالهم لم تستطع أن تميِّز بين خادمهم وأميرهم ، ولا بين غنيِّهم وفقيرهم ، ولا بين السيد فيهم والعبد ، من ذلك قوله صلوات الله عليه :

« من تعاظم في نفسه ، واختال في مشيته ، لقي الله وهو عليه غضبان »[1] .

ثم يركِّز الحبيب الأعظم على فكرةٍ مفادُها : أن التكبُّر هو عكس التواضع ، والتكبُّر هذا لو لم يتصور أضراره فإنه يحبط الأعمال :

« إن العُجب ليُحبط عمل سبعين سنة »[2] .

حتى لو وسوست له نفسه ، فتمنّى أن يقوم الناس له حين دخوله :

« من سرَّه أن يَمْثُل له الرجال قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار »[3] .

ثم يُفصِّل رسول الله ﷺ أكثر فيقول :

« من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة »[4] .

ثم ينفي دخول المتكبرين الجنة فيقول : « لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرَّة من إيمان ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبْر »[5] .

---

(١) رواه الإمام أحمد .
(٢) رواه الديلمي .
(٣) رواه الإمام أحمد .
(٤) رواه البخاري ومسلم .
(٥) رواه مسلم .

أما أهل النار : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مُستكبر » .

ثم يأتي التشجيع على التواضع بصورة من مشاهد يوم القيامة ، ينقلها لنا رسول الله ﷺ : « احتجَّت الجنة والنار ، فقالت النار : فيَّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى الله بينهما : إنك الجنة رحمتي ، أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي أعذِّب بك من أشاء ، ولكليكما عليَّ ملؤها »[1] .

* * *

من مدارج السالكين :

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في مدارج السالكين :

في كتاب الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴾ [المدثر : ٤] .

وعلَّق (قتادة) و (مجاهد) رحمهما الله على ذلك بقولهما : نفسك فطهِّرها من الذَّنب ، فكنَّى عن النفس بالثَّوب ، وهذا قول (إبراهيم النخعي) و (الشعبي) و (الزهري) والمحققين من أهل التفسير ، قال (ابن عباس) رضي الله عنهما : لا تلبسها على معصية ولا غدر ، ثم قال : سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبستُ ولا من غدرةٍ أتقنَّعُ

والمقصود من ذلك : أن الورع يُطهِّر دنس القلب ونجاسته ، كما يُطهِّر الماء دنس الثوب ونجاسته ، وبين القلوب والثياب مناسبة ظاهرة

---

(١) متفق عليه ، والعُتُلُّ : الغليظ الجافي ، والجواظ : الضخم المختال في مشيته .